

2



الناشر : المكتب المصرى الحديث
٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة تليفون ٧٥٤١٢٧
٧ شارع نوبار الاسكندرية تليفون ٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك



« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله
الا بذكر الله تطمئن القلوب »

(صدق الله العظيم)

المكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله الذى هدانا لنعمة الإسلام وكفى بها نعمة وأشهد أن لا إله إلا الله نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة ومحا الظلمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

فجزاك الله عنا يارسول الله خير ماجزى نبياً عن أمته ورسولا عن قومه .

لقد كنت كما وصفك الله تعالى فى القرآن والتوراة . سئل عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن قال الله له فى التوراة . . .

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى

الأسواق ولايدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صما وقلوباً غلفا . . . ا . هـ

سيدى أبا القاسم يا رسول الله

أنت الذى من نورك البدر اكتسى
والشمس مشرقة بنور بهاك
أنت الذى لما رفعت إلى السما
بك قد سمت وتزينت لسراك
أنت الذى ناداك ربك مرحباً
ولقد دعاك لقربه وحباكا
وخفضت دين الشرك يا علم الهدى
ورفعت دينك فاستقام هناك
ماذا يقول المادحون وما عسى
أن تجمع الكتاب من معناك
صلى عليك الله يا علم الهدى
ما اشتاق مشتاق إلى مثواك

وبعـــد :

فهذا كتـــاب جعلت العنصر الفعال فيه ودائرة ضوئه وحجر زاويته وقطب رحاه . ذكر الله وماله من آثار تربوية واجتماعية وما يحويه من تقوية العقيدة وتزكية النفس وانتصار الذهن وإشراق العقل . فقد جاء فى حديث جامع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه :

(ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ . قلنا : بلى قال : ذكر الله) .

كلمة جامعة مانعة شافيه كافية وافية من عاش فيها وعمل بها أوتى كتابه بيمينه ونادى يوم القيامة قائلا : « هاؤم اقرءوا كتابية إنى ظننت أنى ملاق حسابية فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » .

ومن أعرض عن ذكر ربه وغفل قلبه عن مناجاته أوتى كتابه يوم القيامة بشماله فندم ولات ساعة مندم وقال وهو يعض على يديه : « ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى مالية » فينادى من قبل الحق جل جلاله «خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه إنه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون » .

فما حقيقة الذكر ؟

الذكر هو مايجرى على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال وقد أمر الله بالإكثار منه فقال « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا » .

وأخبر أنه يذكر من يذكره فقال « فاذكرونى أذكركم »

وقال الحديث القدسى الذى رواه البخارى ومسلم « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن اقترب إلى شبراً تقربت إليه ذراعا وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » وأنه سبحانه اختص أهل الذكر بالتفرد والسبق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبق المفردون) قالوا : وما المفردون يارسول الله قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » رواه مسلم . وأنهم هم الأحياء على الحقيقة .

فعن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر مثل الحى والميت) (رواه البخارى)

والذكر رأس الأعمال الصالحة من وفق له فقد أعطى منشور الولاية ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ويوصى الرجل الذى قال له أن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به ؟ فيقول له (لايزال فوك رطباً من ذكر الله) .

ويقول لأصحابه (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : ذكر الله) .

(رواه الترمذى وأحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد)

وأنه سبيل النجاة فعن معاذ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ماعمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله — من ذكر الله عزوجل)
(رواه أحمد)

وعن أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال : (إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به)

أمر الله جل ذكره بأن يذكر ذكرا كثيراً ووصف أولى الألباب الذين ينتفعون بالنظر فى آياته بأنهم « الذين . يذكرون الله قياماً وقعوداً

وعلى جنوبهم » « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » .

وقال مجاهد لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

وسئل ابن الصلاح عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات فقال : إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساء ، فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهاراً كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فى هذه الآيات قال : إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً وعذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فإن الله لم يجعل له حدا ينتهى إليه . ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوبا على تركه فقال « اذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » بالليل والنهار فى البر والبحر وفى السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال .

والذكر يشمل كل الطاعات قال سعيد بن جبير كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله وأراد بعض السلف أن تخصص هذا العام فقصر الذكر على بعض أنواعه منهم عطاء حيث يقول :

مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام كيف تشترى وتبيع وتصلى وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه ذلك .

وقال القرطبى مجلس ذكر يعنى مجلس علم وتذكير وهى المجالس التى يذكر فيها كلام الله وسنة رسوله وأخبار السلف الصالحين وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة عن التصنع والبدع والمنزهة عن المقاصد الردية والطمع .

والمقصود من الذكر تزكية الأنفس وتطهير القلوب وإيقاظ الضمائر وإلى هذا تشير الآية الكريمة « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكرولذكر الله أكبر » أى أن ذكر الله فى النهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من الصلاة وذلك ، أن الذاكر حين يفتح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه يمده الله بنوره فيزداد إيماناً إلى إيمانه ويقيناً إلى يقينه فيسكن قلبه للحق ويطمئن به « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وإذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى وأخذ سبيله إليه دون أن تلفته عنه نوازع الهوى ولا دوافع الشهوة . .

ومن ثم عظم أمر الذكر وجل خطره فى حياة الإنسان ومن غير المعقول أن تتحقق هذه النتائج بمجرد لفظ يلفظه اللسان فإن حركة اللسان قليلة الجدوى مالم تكن مواطئة للقلب وموافقة له وقد أرشد الله إلى الأدب الذى ينبغى أن يكون عليه المرء أثناء الذكر فقال « واذكر

ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدووالآصال ولاتكن من الغافلين » .

والآية تشير إلى أنه يستحب أن يكون الذكر سراً لاترتفع به الأصوات وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء فى بعض الأسفار فقال :

(يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إن الذى تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) كما تشير إلى حالة الرغبة والرهبة التى يحسن بالإنسان أنيتصف بها عند الذكر وعن أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال : (أن ما تذكرن من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن يكون له مايذكر به)

وقد أمر الله جل ذكره بأن يذكر ذكرا كثيرا ووصف أولى الألباب الذين ينتفعون بالنظر فى آياته بأنهم « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

« والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » .

وقال مجاهد : لايكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

وسئل ابن الصلاح عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيرا

والذاكرات فقال : إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساء فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهاراً كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآيات قال : أن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً وعذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فإن الله لم يجعل له حداً ينتهى إليه ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوباً على تركه فقال :

« اذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » بالليل والنهار فى البر والبحر وفى السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال .

ومن الأدب أن يكون الذاكر نظيف الثوب طاهر البدن طيب الرائحة فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطاً ويستقبل القبلة ما أمكن فإن خير المجالس ما استقبل به القبلة .

ويستحب الجلوس فى حلق الذكر وقد جاء فى ذلك عن أبى عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : حلق الذكر فإن الله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم) .

وروى مسلم عن معاوية أنه قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ماهدانا للاسلام ومن به علينا قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك أما أنى لم أستحلفكم فهمه لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة) .

وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) .

عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ماقال عبد : لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش مااجتنبت الكبائر) . (رواه الترمذى)

وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : (جددوا إيمانكم قيل : يارسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله) .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) .

(رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) .   (رواه الشيخان والترمذى)

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس)   (رواهما مسلم والترمذى)

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله قلت أخبرنى يارسول الله . . . قال : ان أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده) (رواه مسلم والترمذى) ولفظه أحب الكلام إلى الله عز وجل ما اصطفى الله لملائكته سبحان ربى وبحمده سبحانه ربى وبحمده .

عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قال : سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة) (رواه الترمذى وحسنه)

عن أبى سعيد أن النبى قال : (استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وماهن يارسول الله قال : التكبير والتهليل والتسبيح والحمدلله ولاحول ولا قوة إلا بالله)   (رواه النسائى والحاكم وقال : صحيح الإسناد) .

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :(لقيت ابراهيم ليلة أسرى بى فقال يامحمد اقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله

ولا إله إلا الله والله أكبر) (رواه الترمذى والطبرانى)
وزاد : (ولاحول ولا قوة إلا بالله) .

وعن مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أحب الكلام إلى الله أربع لايضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه) .
(رواه البخارى ومسلم)

أى (أجزأتاه عن قيام تلك الليلة) وقيل كفتاه مايكون من الآفات تلك الليلة وقال ابن خزيمة فى صحيحه (باب ذكر أقل مايجزىء من القراءة فى قيام الليل) ثم ما ذكره . .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال النبى أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يارسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : (الله الواحد الصمد ثلث القرآن) .
(رواه البخارى ومسلم والنسائى)

وعن أبى هريرة : أن رسول الله قال (من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحـــد

بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك) .

(رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه)

وزاد مسلم والترمذى والنسائى ومن قال : (سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) .

عن أنس رضى الله عنه قال :(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) . (رواه الترمذى)

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب)
(رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد)

جاء رجل إلى الحسن البصرى رضى الله عنه وقال :

يا تقى الدين إن أرضى تشكو قلة المطر

فقال له الحسن : استغفر الله

وجاء آخر فقال يا تقى الدين إنى أشكو الفقر .

وقال له أستغفر الله .

وجاء ثالث وقال ياتقى الدين أرجو الله أن يرزقنى الولد .

فقال : له أستغفر الله .

وجاء رابع : فقال : أشكو قلة الثمر فقال له أستغفر الله .

وجاء خامس وقال : أشكو قلة الماء العذب .

قال له : استغفر الله

فعجب الجالسون فى مجلس الحسن وقالوا : يا تقى الدين أو كلما شكا إليك أحد مصيبة قلت له : أستغفر الله .

قال : نعم أو ما قرأتم قوله جل شأنه :

« فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » .

نعم ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وكما قال السيد المعصوم صلوات ربى وسلامه عليه :

(نعم المال الصالح للعبد الصالح) .

وقال صلى الله عليه وسلم (من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر) .

والأمانة مع المال والاستغفار تزيده بركة ونماء « ولو أن أهل القرى

آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض». قال صلى الله عليه وسلم : (إن الخازن المسلم الأمين الذى يعطى ما أمر به كاملا موفرا طيبة به نفسه حتى يدفعه إلى الذى أمر له به أحد المتصدقين) .

وعقب القرآن الكريم فى الآية السابقة بقوله جل جلاله « ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون »

قال صلى الله عليه وسلم : (إذا أراد الله بقوم قحطا نادى مناد من قبل الله يا أمعاء اتسعى يا بركة ارتفعى يا عين لا تشبعى) .

هل يضير الله شئ عندما يبسط يده بالخير على عباده وهل تنقص خزائنه أن يفيض على الناس من البركات ؟ لا والذى نفسى بيده .

روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن يمين الله ملآى لا يغيضها (أى لا ينقصها) نفقه ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص ما فى يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض) .

إن المؤمن الصادق هو الذى إذا سأل لا يسأل إلا الله وإذا استعان لا يستعين إلا بالله وإذا توكل فعلى الله لا يلجأ لغيره ولا يذل نفسه ما دام يؤمن بأن الرافع الخافض هو الله وأن الباسط القابض هو الله وأن المعز المذل هو الله وأن المعطى المانع هو الله وأن المحيى المميت هو الله أما الذى يلجأ لغيره فحسبه ما لجأ إليه .

قال صلى الله عليه وسلم : (من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر) .

ما أعظم أن يعرق الجبين فى طلب الحلال روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالساً ذات يوم مع أصحابه فنظروا إلى شاب ذى جلد وقد بكر يسعى فقالوا : (ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله) .

فقال صلى الله عليه وسلم : (لا تقولوا هذا فإن كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو فى سبيل الشيطان) .

ولأهمية الاستغفار نقول إذا نزل القحط وامتنع المطر تقرب الزارع المسلم إلى الله بالصلاة والدعاء ويستحب للزراع إذا نزل بهم القحط وامتنع المطر أن يتقربوا إلى الله بالصلاة والدعاء اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد حدث أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان تجاه المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً فقال : يا رسول الله هلكت المواشى وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا .

قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : (اللهم اسقنا اللهم اسقنا) .

قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة (القطعة من السحاب الرقيق الأبيض) ولا شيئا (أى من ريح أو كدرة مما يدل على المطر) وما بيننا وبين سلع (جبل بالمدينة) من بيت ولا دار قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (أى المجن الذى يتقى به الحرب) فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال : والله ما رأينا الشمس ستاً (أسبوع) ثم دخل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الأكام (الهضبة أو الجبل الصغير) والجبال والآجام (الغابة) والظراب (الجبال المنبسطة على الأراضى) والأودية ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشى فى الشمس .

وفى حديث آخر حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن عباد بن تميم عن عمه قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى فتوجه إلى القبلة يدعو وحول رداءه ثم صلى ركعتين جهر فيهما بالقراءة .

أرأيت كيف كان الذكر والتضرع إلى الله واللجوء إليه .

انظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها « أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل من البحرين حاجزاً أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون » . (صدق الله العظيم) .

(سورة النمل الآيات من ٦٠ — ٦٥)

سبحانك اللهم أنت الواحد
كل الوجود على وجودك شاهد
يا من له عنت الوجوه بأثرها
رهبا وكل الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الحق الذى
كل القلوب له تقر وتشهد

أرأيت كيف أمر الله السماء أن تمطر حتى صار ماؤها مغزاراً ومدراراً ومكثاراً . إنه سر الاستغفار والذكر .

« ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » أن ذكر الله يضيء جنبات الحياة إذا أظلمت ويبدد ظلماتها إذا صارت قطعاً من الليل مظلماً ويهدى إلى سواء الصراط إذا ما أدلهمت الفتن واحتدمت الخطوب .

أسند عن الحارث ، عن على رضى الله عنه فيما أخرجه الترمذى .

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستكون فتن كقطع الليل المظلم) .

قلت : يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال :

كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم .

هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا عله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا :

إنا سمعنا قرآناً عجباً .

من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه « هدى إلى صراط مستقيم »

ويقول ابن عوف فيما رواه البخارى رضى الله عنه (ثلاث أحبهن لنفسى وإخوانى) :

هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها .

والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه .

ويدعو الناس إلا من خير » .

ويقول سيدنا على رضوان الله تعالى عليه فى كلام طويل له :

(اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش والهادى الذى لا يضل والمحدث الذى لا يكذب وما جلس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان زيادة فى هدى ونقصان من عمى واعلموا : أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقه ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم فإن فيه الشفاء من أكبر الداء ..)

وعن مرة الهمدانى يقول : (قال عبد الله : إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وأن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) .

وكما أن الله سبحانه خص القرآن بذلك فإنه وعد بحفظه فلم تمتد يد عابثة إليه .

يقول الإمام محمد عبده عن هذا القرآن :

هذا الضياء كان ولا يزال يلوح لامعه فى حنادس الظلم لأفراد اختصهم الله بسلامة البصيرة فيهتدون به إليه ، ويحمدون سراهم بما عرفوا من نجاح مسعاهم ولكن الذين أطبقت عليهم ظلم البدع وران على قلوبهم ما كسبوا من التحزب للشيع وطمست بصائرهم وفسدت عقولهم بما حشوها من الأباطيل وبما عطلوها عن النظر فى الدليل .

هؤلاء فى عمى عن نوره وقلوبهم فى أكنة لا يفقهوه وفى آذانهم وقر يصيحون بأنهم عمى صم فلا يرون له سناء ولا يسمعون له نداء ويعدون ذلك من كمال الإيمان به ولبئس ما رضوا لأنفسهم من السفه وطيش الحلم وهم يعلمون .

هذا حال الجمهور الأعظم ممن يوحون بأنهم مسلمون ويجلبون العار على الإسلام بدخولهم تحت عنوانه، ويقرون حجج أعدائه فى حرية بزعمهم الاجتماعى تحت لوائه وما هم منه فى شىء .

هؤلاء لابد أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فقد اتبعوا سنهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وضيقوا على أنفسهم بدخولهم فى حجر الضب الذى دخلوه .

ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سنن الله فيهم فلن يخلص مما قضى الله فى عذابهم .

فقد قص عليهم سير الأولين وبين لهم ما أنزل بهم عندما انحرفوا عن سنته وحادوا عن شرعه ونبذوا كتابه وراءهم ظهريا أحل بهم الذل وضربت عليهم المسكنة وأورث غيرهم أرضهم وديارهم فهل ينتظر المتبعون سنتهم السائرون على أثرهم أن يصنع الله بهم غير الذى صنع بسابقيهم ؟ وقد قضى بأن تلك سنته ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وما تزال الأمة بخير ما أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر فإذا ما تقاعست فى هذا الأمر الخطير فأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً وصار الذئب راعياً والخصم العنيد قاضياً فقد وقعت فيما حذر منه القرآن الكريم فى شأن بنى إسرائيل « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

(صدق الله العظيم) (سورة المائدة : ٧٨ — ٧٩)

عن درة بنت أبى لهب قالت :

جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال : من خير الناس يارسول الله ؟ .. قال : (آمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأتقاهم لله وأوصلهم لرحمه) .

ووجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثبت بالقرآن والسنة وقد وردت فى ذلك آيات استفاض القرآن فى ذكرها استفاضة تامة .

ولم يكن القرآن وحده هو الذى حث على ذلك بل أن السنة النبوية أشادت بذلك فى أحاديث عدة :

فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره .

ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل .

وروى الأئمة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .

وعن أبى رقية تميم بن أوس الدارى أن النبى صلى الله عليه وسلم

(الدين النصيحة قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو نعيم عن ابن مسعود قال :

(إذا رأيت المنكر تستطع له تغييراً فحسبك أن يعلم الله أنك تكره بقلبك) .

وعنهما أيضاً عنه قال :

إن الرجل يشهد المعصية يعمل بها فيكرهها فيكون كمن غاب عنها ويغيب عنها فيرضاها فيكون كمن شهدها .

ما أحوج الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها وقد تداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها وقد صارت غثاء كغثاء السيل كرهوا الموت وأحبوا الدنيا وما أحوجها إلى أن تتمسك بما يحفظ لها إيمانها وانتماءها للإسلام العظيم فى وقت بدا فيه واضحاً لكل ذى عينين مصداق قول الله تعالى عز وجل : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » .

لقد تكاثرت على المسلمين المصائب والنكبات وأحيط بهم من كل جانب وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وهم مطالبون بحكم إسلامهم وإيمانهم أن لا يتركوا لليأس طريقاً إلى قلوبهم فإن اليأس والإيمان

لا يجتمعان فى قلب واحد أبداً وهم مطالبون بحكم إسلامهم وإيمانهم أن تلزموا قلوبهم كراهية الباطل وبغضه والاشمئزاز منه مهما بدا أن أهل الباطل ساعون آمنون يعيشون فى نعمة فارهين ومهما بدا أن لا سبيل إلى مقاومة الباطل ورده عن غيه وتطاوله وفجوره . إن المسلم إن أراد أن يحتفظ بهويته وانتمائه مطالب أن يستشعر على الدوام كراهية الباطل وبغض المنكر بغض النظر عن إمكانياته وما يمتلكه من وسائل فى مواجهة الباطل والمنكر . وإن الذين يتحذلقون ويتكايسون فيطالبون الناس بالرضا والقناعة بما فرضه الباطل من واقع ذليل بحجة عدم امتلاك القدرة على تغيير هذا الواقع .. إن هؤلاء يحاولون أن يستلبوا منا الإيمان ويريدون أن نركن إلى الذين ظلموا طائعين مختارين فمن رضى بالباطل واستراح له فلن تفيده الوسائل والإمكانيات إذا امتلكها ومن ألزم قلبه كراهية الباطل فهو فى حركة دائبة لتجنيد كل ذرة من الإمكانيات حوله لمقاومة الباطل ورده عن غيه وإعلاء الحق فى الأرض . إن كراهية الباطل والمنكر هى التى تحفظ حياة القلب فيفجر الحق على اللسان كلمات ملؤها الصدق والحماسة تجند للحق كثيراً من اليائسين والقاعدين وتنير الطريق أمام الحيارى الذين هالهم المصاب وتوالت عليهم المحن فعقدوا القدرة على المحاكمة والتمييز والتقدير .

جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .

والمتأمل فى هذا الحديث يجد أن النبى صلى الله عليه وسلم يعتبر كلمة الحق تغييراً أو طريقاً إلى التغيير ويعتبر مشاعر القلب بكراهية المنكر تغييراً أو طريقاً إلى التغيير فإذا فقد المسلم الحد الأدنى من حياة القلب ورضى بالباطل ويئس من جدوى احتفاظه بكراهية الباطل فى قلبه فقد حرم — والعياذ بالله — من أضعف الإيمان وكما جاء فى حديث آخر عن النبى عليه الصلاة والسلام : « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » روى الإمام أحمد أن الله تعالى أوحى إلى ملك من الملائكة أن أخسف بقرية كذا فقال الملك يارب كيف وفيها العابد فلان ؟

قال به فابدأ فإنه لم يتمعر (أى لم يتغير) وجهه فى يوماً قط . إن فراغ القلب من كراهية الباطل والتأذى به بشكل يبدو على ملامح الوجه غضباً وحنقاً واشمئزازاً إن فراغ القلب من هذه المشاعر دليل خواء من الإيمان وعلامة استحقاق لسخط الله عز وجل وفى الدنيا والآخرة جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم (إنه يستعمل عليكم أمراء متعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع) فمن رضى بشىء من الباطل أو تابع عليه لم يسلم إيمانه من الزيغ ولم يسلم مما أعده الله من الوعيد لمن تخلى عن أضعف الإيمان .

وقد يكون ما تذكره من إلزام القلب لكراهية الباطل والمنكر شاقاً على النفس محرجاً لها مرهقاً للأعصاب ولكنه مع ذلك بالغ الأهمية ومن أوثق عرى الإيمان .

والمتتبع لآيات الصبر فى القرآن الكريم يكاد يجد أن الغالبية العظمى منها ذكر فيها الصبر بمعنى حبس النفس وإلزام القلب الاعتقاد بالحق ومحبته والكفر بالباطل وكراهيته رغم الضعف والقلة ورغم الإيذاء والكيد ورغم السخرية والإهانة والطرد والحرمان فإذا نجح المؤمن فى أن يحتفظ فى نفسه بمحبة الحق رغم تخلى الناس عنه وإيذائهم لأصحابه وإذا نجح المؤمن فى أن يحتفظ فى قلبه بكراهية الباطل رغم تهافت الناس عليه وانتناشهم به وما يعيشون فيه من نعمة إذا نجح المؤمن فى هذا استحق بفضل الله وكرمه وعده تعالى « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ».

وها نحن أولاء نقدم بين يدى القارىء أحد علماء الحق الذين دخلوا التاريخ من أشرف أبوابه وأنصعها وأنقاها وأطهرها إنه أبو حازم ولنترك المؤرخين يحدثوننا عنه ولننصت إلى هذه المواقف التى إن دلت على شيء فإنما تدل على أن قلب صاحبها عامر بحب الله فمن خاف الله خوف الله منه جميع خلقه ومن لم يخف الله خوفه الله من جميع خلقه ومن أرضى الله بإسخاط الناس كفاه الله مابين الناس ومن أسخط الله بإرضاء الناس وكله الله إلى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن تزين للناس بما يعلم الله من خلاف ذلك هتك الله ستره وأبدى فعله فاللهم اغننا بالفقر إليك ولا تفقرنا بالاستغناء عنك .

لما دخل سليمان بن عبد الملك مكة حاجاً قال : هل بها رجل أدرك

عدة من الصحابة ؟ قالوا : نعم أبو حازم فأرسل إليه فلما أتاه قال يا أبا حازم ماهذا الجفاء ؟

قال : والله ماعرفتني قبل هذا ولا أنا رأيتك فأى جفاء رأيت منى ؟ فالتفت سليمان إلى الزهرى قائلا : أصاب الشيخ وأخطأت أنا .

يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟

فقال : عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب قال : صدقت . فقال : يا أبا حازم ليت شعرى مالنا عند الله تعالى غداً ؟

قال : أعرض عملك على كتاب الله عز وجل . قال : وأين أجده من كتاب الله تعالى ؟

قال الله تعالى : « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم »

قال سليمان : فأين رحمة الله ؟

قال أبو حازم : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) .

قال سليمان : متى تذكرنا يا أبا حازم .

قال له : يوم ننسى الله .

قال سليمان : من شر الناس يا أبا حازم .

قال : من باع آخرته بدنياه .

قال : فمن شر منه ؟

قال : من باع آخرته بدنيا غيره قال له فما أطيب الطيبات .

قال : العافية .

قال : فما أمر المرارات

قال : الحاجة إلى الناس .

قال : وأى شيء أثقل من السماوات والأرض .

قال : تهمة المظلوم .

قال سليمان : ليت شعرى كيف العرض على الله غدا ؟

قال أبو حازم : أما المحسن كالغائب يقدم على أهله وأما المسيء كالعبد الآبق يقدم به على مولاه .

فبكى سليمان واشتد بكاؤه ثم قال يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح ؟

قال : تدعون عنكم الصلف (الكبر) وتتمسكون بالمروءة وتعدلون .

قال : يا أبا حازم وكيف المأخذ من ذلك ؟

قال : تأخذه بحق وتضعه بحق فى أهله .

قال : ما أعدل العدل ؟

قال : كلمة صدق عند من ترجوه وتخافه .

قال : فما أفضل الصدقة .

قال : جهد المقل إلى يد البائس الفقير لايتبعها من ولا أذى .

قال : ما أسرع الدعاء إجابة ؟

قال : دعاء المحسن للمحسنين .

قال : يا أبا حازم من أكيس الناس .

قال : رجل ظفر بطاعة الله تعالى فعمل بها ثم دل الناس عليها .

قال : يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا وتصيب منك .

قال : كلا .

قال : ولم ؟

قال : إنى أخاف أن أركن إليكم قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعفت الممات ثم لا يكون لى منه نصير .

قال : يا أبا حازم ارفع إلى حاجتك .

قال : نعم تدخلنى الجنة وتخرجنى من النار .

قال : ليس ذلك إلى

قال : فما لى حاجه سواها

قال : يا أبا حازم أوصني .

قال : نعم . سوف أوصيك وأوجز نزه الله تعالى وعظمه أن يراك حيث نهاك . أو يفقدك حيث أمرك .

ثم قام . فقال سليمان يا أبا حازم هذه مائة دينار أنفقها ولك عندى أمثالها كثير . فرمى بها وقال : والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسى ؟ إنى أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياى هزلا وردى عليك بذلا ! ! إن كانت هذه المائة دينار عوضاً عما حدثتك ، فالميتة والدم ولحم الخنزير فى حال الاضطرار أحل منه وإن كانت من مال المسلمين ، فلا حاجة لى فيها إن بنى إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى ، حتى كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة فى علمهم فلما نكسوا وسقطوا من عين الله تعالى ، وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم فى دنياهم .

ومن هؤلاء العلماء الذين عرفوا الله ، فعرفهم الله ، وأحبهم الله فأحبوه التابعى الكبير سعيد بن المسيب ، يرسل إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يخطب إبنته الرباب بنت سعيد لإبنه وولى عهده الوليد بن عبد الملك فيدخل مندوب عبد الملك ، هشام بن اسماعيل ، على سعيد وهو يلقى العلم فى مسجد الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فلما فرغ سعيد من درسه انتحى به هشام جانباً ، وعرض عليه ما أمره به عبدالملك وبين نور الوعد

ونيران الوعيد أخذ هشام يصول ويجول ويتوهج ويتأجج ويرغى ويزيد جعل لسعيد الأرض جنة خضراء إن هو أجاب كما جعلها ناراً تلظى إن هو رفض وأبى وأخيراً رفع سعيد رأسه ونظر إليه وقال له أبلغ عبد الملك أنى لا أقبل أن تصير ابنتى زوجة لابنه فآتى معها يوم القيامة مسلسلين إلى نار جهنم وألح هشام فى العرض والإغراء وأصر سعيد على الرفض والإباء وقال له : ماعليك إلا البلاغ وتوجه سعيد إلى بيته فوجد ابنته تقرأ القرآن ، قال يا ابنتى كيف حالك مع كتاب الله ؟ قالت : يا أبتى وقفت عند قوله تعالى « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » لقد عرفت حسنة الآخرة وهى الجنة فما حسنة الدنيا ؟

قال لها يارباب : حسنة الدنيا الزوجة الصالحة للرجل الصالح والرجل الصالح للزوجة الصالحة فما ذا حدث ؟

إسمع إلى ماحدث أنه عجيب ومهيب وعظيم وجليل ورهيب .

عن عبد الله بن أبى وداعة قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدنى أياماً فلما أتيته قال : أين كنت ؟ قلت توفيت أهلى فاشتغلت بها قال هلا أخبرتنا فشهدناها ؟ قال ثم أردت أن أقوم فقال : هل استحدثت إمرأة ؟ فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أوثلاثا ! فقال : أنا .

قلت : وتفعل ؟ قال نعم فحمداً لله تعالى وصلى على النبى صلى الله عليه

وسلم وزجنى على درهمين أو قال ثلاثة قال : فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح فعدت إلى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ ممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلى فأسرجت وكنت صائماً ، فقدمت عشائى لأفطر — وكان خبزاً وزيتاً وإذا بأبى يقرع فقلت : من هذا ؟ قال سعيد قال : تفكرت فى كل إنسان اسمه سعيد ، إلا سعيد بن المسيب وذلك أنه لم يمر أربعين سنة إلا بين داره والمسجد — فخرجت إليه ، فإذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه بدا له (أى رجع عن رأيه) فقلت : يا أبا محمد لو أرسلت إلى لأتيتك فقال : لا أنت أحق أن تؤتى . فقلت : ماذا تأمر . قال : إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت إن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك وإذا هى قائمة خلفه فى طوله فدفعها فى الباب ورده قال : ثم دخلت بها فإذا هى — أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج !

وجاء اليوم الذى تولى فيه الوليد أمور المسلمين وأصبح أميراً للمؤمنين وذات يوم سافر الوليد إلى المدينة المنورة وكان على إمرتها عمر بن عبد العزيز ودخل الوليد وعمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيه سعيد ابن المسيب فألقى الوليد على سعيد السلام فرد سعيد السلام وهو جالس قال الوليد لعمر أرأيت إلى الرجل يرد السلام وهو جالس قال له عمر : لعله لم يعرفك فدنا الوليد منه وقال السلام عليك يا سعيد ورحمة

الله أنا الوليد بن عبد الملك ومد يده مصافحاً إلى سعيد فصافحه سعيد وهو قاعد وقال إنما يقوم الناس لرب العالمين .

فقال الوليد لعمر : أتراه لم يعرفني بعد ذلك يا عمر إن سعيداً رجل خاف الله فخوف الله منه جميع خلقه وانصرف .

هؤلاء رجال أصلحوا لله سرائرهم فأصلح الله علانيتهم بلغت بهم عزة الإيمان أن أحدهم كان ينام على الطوى ويقول نزح بحرين بغربالين وحفر بئرين بإبرتين وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا كأبيضين وكنس أرض الحجاز فى يوم شديد الهواء بريشتين خير لى أن أقف على باب لئيم يضيع فيه ماء عينى .

نعم ! كانوا يبيتون على الطوى ويقولون نحن فى سعادة لو علمت بها الملوك لجالدتنا عليها بالسيوف .

إنما أخذوا تلك الدروس النافعة من أستاذ الإنسانية الأكبر وقائد المسلمين الأعظم وصاحب الرسالة العصماء محمد صلى الله عليه وسلم الذى عرضت عليه الدنيا بما فيها من متاع وزخارف وعرضت عليه الجبال نفسها لتكون له ذهباً وفضة فقال قولته الشهيرة : (بل أجوع يوماً فأذكرك وأشبع يوماً فأشكرك) .

وفى هذا يقول صاحب البردة رحمه الله تعالى :

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم
وأيدت زهده فيها ضرورتـه
إن الضرورة لا تعدو على العصم

قال ابن مسعود رضى الله عنه (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نام على حصير وقد أثر فى جنبه فقلت : يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ! فقال : ما لى وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) .

قال ابن عباس : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على أم هانئ وكان جائعاً فقال لها : أعندك طعام آكله فقالت : إن عندى لكسراً يابسة وإنى لأستحى أن أقدمها إليك فقال هلميها فكسرها فى ماء وجاءته بملح فقال : « ما من إدام ؟ فقالت : ما عندى إلا شيء من خل فقال : هلميه فلما جاءت به صبه على طعامه فأكل منه ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : نعم الإدام الخل يا أم هانئ لا يقفر بيت فيه خل » .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال ادخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال : فأذن لأبى بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبى صلى الله عليه وسلم جالساً حوله نساؤه واجما

ساكنا قال : فقال لأقولن شيئاً أضحك النبي صلى الله عليه وسلم ولأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر : يا رسول الله لو رأيت إبنة زيد — امرأة عمر — سألتني النفقة لم آنفا فوجأت عنقها فضحك النبي حتى بدت نواجذه وقال : « هن حولى كما ترى يسألنني النفقة » .

فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عنده ؟ !

فقلن : والله ما نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين — أى يوماً — ثم نزلت هذه الآية : « يا أيها النبى قل لأزواجك » . حتى بلغ للمحسنات منكن أجراً عظيما » .

قال : فبدأ بعائشة فقال : (يا عائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك) .

قالت : وما هو يا رسول الله

فتلا عليها الآية قالت :

أفيك يا رسول الله أستشير أبوى بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت .

قال : لا تسألن امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا (أى لم يبعثنى مشددا على الناس ولا طالباً زلتهم) ولكن بعثنى معلماً ميسرا ، صلى الله عليك يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

نماذج من افذاذ النساء

وكما عرضنا فيما مضى نماذج لأبطال الرجال فإننا يشرفنا كثيراً أن نعرض لبعض المسلمات اللائى نهلن من مناهل العذب المورودة من النبع الصافى وضربن المثل الأعلى فى الشجاعة والصبر والإقدام والحكمة من هؤلاء الخنساء وما أدراك ما هى ؟ حظها من الرفعة حظها ومكانتها فى الإسلام مكانتها ولندع التاريخ يحدثنا عنها .

جاء فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ما ملخصه حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فجمعتهم ليلة المعركة وقالت لهم :

يا بنى إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وإنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم .

وذكرتهم بذيات الوعد بجزيل الثواب للصابرين فى مواطن القتال وقالت لهم : فإن أصبحتم غدا — إن شاء الله — سالمين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين فإذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها .. فتيمموا وطيسها تظفروا بالخلد والكرامة فى دار الخلد والمقامة .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وباشروا القتال حتى قتلوا

كلهم فلما بلغ الخبر الخنساء أمهم ، قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته

وهذا مثال آخر من حياة النساء الصحابيات المناضلات والمجاهدات أذكره ليكون فيه عبرة لنساء قادتنا وزعمائنا .

كانت أسماء بنت أبى بكر من أوائل من أسلم وقد رشحها أبوها أبو بكر لأخطر الأعمال خلال هجرته فى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سراً فقد كان لها دور هام فيها فكانت تحمل الزاد والماء للرسول وصاحبه أثناء اختفائهما فى الغار وتنقل لهما أسرار وتطورات موقف زعماء قريش الذين كانوا يبحثون عنهما ليقتلوهما .

وجاء هؤلاء الزعماء إلى أسماء مرة بعد خروج أبيها مع النبى مهاجراً وسألوها عن أبيها فقالت : لا أدرى فلطمها أبو جهل لطمة أطارت قرطها فاحتملت هذا الأذى فى سبيل الله .

وقد سجل التاريخ موقفها الرهيب الذى لا يعرف له مثيل فى حياة الأمهات ذلك لما دخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير خلال ثورته على الأمويين فى الحجاز الذين أرسلوا إليه الحجاج بجيش كبير لقتاله فدخل على أمه أسماء وقد انفض عنه أنصاره بعد قتال مرير وطويل فقال لها مستشيراً .

يا أماه خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى فلم يبق معى إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم — أى الأمويون — يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك .

قالت أمه أسماء : أنت والله يا بنى أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك .. وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين ! وكم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن والله لضربة بالسيف فى عز أحب إلى من ضربة بسوط فى ذل !

قال : إنى أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى .

قالت : يا بنى إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد الموت ! وخرج عبد الله فقاتل حتى قتل فى يومه وماتت أمه بعده بأيام .

هكذا فلتكن الأمهات !

وعن أنس قال : اشتكى ابن لأبى طلحة فمات وأبو طلحة خارج ولم يعلم بموته فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحته فى جانب البيت فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟

قالت : قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح ثم قربت له

العشاء ووطأت الفراش فلما أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته بموت الغلام فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم أخبره بما كان منها فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لعله يبارك لكما فى ليلتكما

فجاءهما تسعة أولاد كلهم قرأوا القرآن هؤلاء هم الذين صدقوا الله وعده فأدوا ما عليهم لأنهم علموا أن هذه الدنيا ما هى إلا مقدمة لعالم البقاء فآثروا الآجل على العاجل وصدق فيهم قول الله تعالى :

« ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا »

وقال فيهم جل شأنه :

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

تم بحمد الله يوم الأربعاء الموافق الحادى والعشرين من شهر جمادى الأولى ١٤٠٤ الموافق الثانى والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٨٤

حينما بدأنا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لأنه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التى تصلنامن مختلف أنحاء العالم الاسلامى والتى تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف فى سطور :

● عبد الحميد عبد العزيز كشك .

● من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٣٣ .

التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه للقرآن وهو فى الثانية عشرة من عمره .

● التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الاسكندرية الدينى .

● وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، أنعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة .

● التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الأول على فرقته دائما ، وحصل على مجموع مائة فى المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى ، وفى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨ر٪ .

● التحق بكلية أصول الدين ،حيث حصل على الشهادة العالية ، وكان ترتيبه الأول ، ومثل الأزهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١ .

● حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى .

● عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الأوقاف .

● خطيب وامام مسجد عين الحياة (الملك سابقا) منذ عام ١٩٦٤ والآن يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحيـاة بشارع مصر والسودان بالقاهرة .

● مراسلات الشيخ كشك على العنوان التالى :

الشيخ عبد الحميد كشك

٣٩ فتحى موسى ـ سكة الوايلى ـ أرض الجمعية ـ حدائق القبة ـ القاهرة

النـاشر

رقم الايداع ١٩٨٤/٤٧١٦

الترقيم الدولى ٢-٢٧-٠-١٣٦-٩٧٧ ISBN

مطابع الأهرام التجارية

الشيخ عبد الحميد كشك الداعية الاسلامى قدم الى مريديه ومحبيه فى العالم الاسلامى العديد من الاحاديث المسجلة التى تحمل الدعوة الاسلاميه الخالصة الصادقة الجريئة .

والعصر الذى نعيشه والأجيال الصاعدة التى تمزقها الحيرة بين الخطـأ والصواب يدعونا الى أن نعيش الدعوة الاسلامية تاريخها وحقائقها بقـدر ما نعيش واقعها ومسيرتها .

واسهاما فى ملء فراغ يشعر به الجميع فى هذا المجال نقدم مكتبة الشيخ عبد الحميد كشك فى :

طريق النجاة
البطولة فى ظل العقيدة
رياض الجنـــة
نفحات من الدراسات الاسلامية
بناء النفوس
أصحاب النفوس المطمئنة
حياة الانســان
مع التوحيد والأخلاق
اليــوم الحــق
صور من عظمه الاسلام
ارشــاد العبــاد
أضواء من الشريعة الغراء
البعث والجزاء
شفاء القلوب
حقائق وحديث عن الروح
حديث من القلب
الصلاة رأس العبادات
الاسلام وأصول التربية
الوصايا العشر فى القرآن الكريم
ورثة الفردوس
الهدى والنــور

جدد السفينة
أعـــد الزاد
الفتوحات الربانية
رحلة الى الدار الآخرة
صم عن الدنيا وافطر على الموت
الصراع بين النفس والمال
اخلص العمل فان الناقد بصير
صاحب الرسالة العصماء
ســياحة مباركة
فضل القرآن يوم الحشر
مصارع الظالمين
الصلح مع ال
الناس بخير
الوقوف بين ؛
على مائدة الا
غذاء الروح
هالات من نور
ساعة صفاء ؛
فى رحاب الس
الاسلام شجرة
اذا ذكر الله



